

خالد بن حمزة مدنی

يُوجَدُ في القرآن الكريم عددٌ كبيرٌ من الآيات الكونية سخرت لتكون أولًا برهانًا لإثبات وجود الخالق الواحد وإقامة المحجة على ذلك من خلال التفسير العلمي الذي لا ينكره منصف ولما يرفضه عقلٌ رشيدٌ، وثانيًا هدايةً للعلماء في أبحاثهم تقودهم إلى المنتجات الصحيحة، والحقيقة الكونية خدمةً للبشرية جموعًا؛ تنور طريقهم، وتخريجهم من الظلمات إلى النور. وعملية المشروق والمغرب التي يعيشها الإنسان يوماً فوق هذه الأرض - واحدة من هذه الحقائق الكونية حيث قال المولى تبارك وتعالى:

(رب المشرق والمغارب وما بينهما) الشعراوي (27)

(فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارقِ وَالْمَغارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ) المعارض (40)

(فَبِأَيِّ الْمَاءِ رَبُّكُمَا تَكَذِّبَانِ) رب المشرقين ورب المغاربيين (المرحمن (15:14)).

(حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ إِلَيْهِ مَا لَكَ بِبَنِي وَبِيْنَكَ بِعِدَ الْمَشْرُقَيْنِ فَبَيْسِ الْمَقْرَبَيْنِ) المزخرف (37)

لَا شَكَ فِي أَن ذِكْرَ الْمَشْرُقِ وَالْمَغْرِبِ فِي صِيغِهِ الْمُخْتَلِفَةِ يَعْطِي بَاعِثًا لِلْبَحْثِ، وَرَغْبَةً فِي التَّفْكِيرِ، وَجَاهِزًا لِلتَّعْمِقِ وَالْمَتَأْمِلِ، إِنَّهُ مُثْلٌ حِيَ فِي بِلَاغَةِ الْأَسْلُوبِ الْمُقْرَآنِيِّ وَدِقَّةِ الْمَعْنَانِيِّ. وَإِذَا تَعْمَقْنَا فِي مَعْنَانِي هَذِهِ الْآيَاتِ بَدَا لَنَا بِوَضُوعِ أَنْتَ شَيْرُ أَوْلَى إِلَى عَظَمَةِ الْخَالِقِ، وَأَنْهُ سَبِّحَهُنَّهُ وَتَعَالَى - مَوْجُودٌ حِيثُ الْمَشْرُوقُ وَحِيثُ الْغَرْوَبُ بِرَبِّوْبِيَّتِهِ وَسَلْطَانِهِ وَنُورِهِ وَهَدَائِتِهِ، وَثَانِيًا إِلَى حَقَائِقِ كَوْنِيَّةِ مَتَسَلِّلَةٍ لَهَا وَرَبِّنَا الْعَلَمِيُّ الْمُضْخَمُ وَأَهْمِيَّتِهَا الْكَبِيرِيُّ فِي مَعْرِفَةِ ذُو اِمَّيَّسِ هَذَا الْكَوْنِ الْمُنْتَظَرُ، سَخَرَتْ لِهَا دِيَّةُ الْإِنْسَانِ فِي بَحْثِهِ الْعَلَمِيِّ الْمُتَجَرِّبِيِّ وَالْمُنْظَرِيِّ كَيْ لَا يَضُلَّ عَنِ الْحَقِيقَةِ الْكَوْنِيَّةِ مَصْدَاقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيَّ أَيَّتُهُ عَلَيْكُمْ تَهْدِي) (آل عمران: 103).

ففي سورة المشعراء جاء ذكر المشرق والمغرب في صيغة المفرد، وهذا ما نلاحظه في كل لحظة، فأينما كنا وحيثما وجدنا رأينا للشمس مشرقاً ومغرباً، وبما أن الأرض تدور حول نفسها وحول الشمس دون توقف فهناك مشارق ومغارب متتالية في الزمان والمكان. وهذا ما نفهمه من خلال الآية الكريمة التي جاءت في صيغة الجمع في سورة المعارج. لكن المسؤول المطروح هو: ما هو الفهم الصحيح لهذا الذكر الذي جاء في صيغة المثنى، في سورة الدر حمزة؟

لقد فسر بعض المفسرين هذه الآية بمشاركة ومغربي الشمس في المشتاء والمصيف، مهتمين في ذلك بما يقع من تغيير مستمر في زاوية الشروق والمغرب الناتج عن دوران الأرض حول الشمس، وميل محور دورانها عن المحور الرأسي. قد يبدو هذا صحيحًا في المرة الأولى، لكن بسبب ميل المحور الذي يتزايد ويتناقص على مر السنّة ليفرز لنا الفصول الأربعة - ذري كذلك على الأرض مشارق ومغارب متعددة بعدد أيام السنة، وليس مشرقين ومغاربيين اثنين فقط، ومن هنا ذري أن عدم التوافق الكلي الذي أفرزه هذا المفسير يدعونا إلى النظر من جديد والتفكير في الآية الكريمة لزيجاد المفهوم الصحيح، فالقرآن يفسر بالقرآن، ثم بالسنة الصحيحة، وبآثار العلم المكتشف.

التفسير العلّام الحافظ

دیالشدق والغدر و حاریونها

²⁷ المُشَدَّد، وَالْمَغْرِبُ، هُدَى السُّودَاءِ الْكَرِيمَةِ، صَيْحَةُ الْمُضَدِّ، وَهُنَّهُ أَشَادَةُ الْمَلِكِ، حَالَةٌ خَاصَّةٌ ثَانِيَةٌ فِي مَكَانٍ، مَا

و زمان ما . ففي كل لحظة تشرق الشمس على بقعة أخرى ، وكل الناس الموجودين في هذه المبقع سيعيشون في وقت واحد لحظة الشروق والمغروب ، وهذا ما نقره في الآية الكريمة حيث قرن المشرق مباشرة بالمغرب ، ولم يكن قوله - عز وجل - رب المشرق ورب المغرب . إذن إذا تصورنا هذه الحالة الخاصة - وجود حالة شروق وغروب في كل لحظة - وعممها على كل بقعة الأرض سنجد أن شكل هذه الأخيرة كروي ، مما يدل على أن صيغة المفرد هاته استعملت إشارة إلى شكل الأرض فقط .

(فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ) المعارض (40)

في هذه المسورة الكريمة جاءت صيغة الجمع إشارة على وجود مستمر لمشارق ومغارب متعددة على هذه الأرض . وبما أن عملية الشروق والمغروب مستمرة عبر المكان والزمان ، فهذا يدل بوضوح تمام اولًا ، على أن شكل الأرض كروي ، وثانيًا على أن الأرض تدور حول نفسها وحول الشمس .

ومن هنا نستنتج أن صيغة الجمع هاته استعملت لتدل على شكل الأرض الكروي ، وحركتها حول نفسها وحول الشمس . لكن لا هذه الصيغة ولما المصيغة المفردة ، لم تحدد بالنسبة للكون اتجاه دوران الأرض ، سوى ما جاء في قوله تعالى في سورة البقرة ما يدل على أن الشمس تطلع من مشرق الأرض : (قَالَ إِبْرَاهِيمٌ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأَتَيْتُهُ مِنَ الْمَغْرِبِ) البقرة (257) ، (رب المشرقيين ورب المغاربيين) الرحمن (15) في هذه الآية الكريمة ذكر المشرق والمغرب في صيغة المثنى . ما سبب ذلك ؟ إن التعبير القرآني جميل ، وهذه الآية سبقت في صيغة المثنى لتكون الأنسب في سورة الرحمن حيث الحديث كله يذكر في هذه الصيغة إنها الأنسب ، هذا صحيح ، لكننا شك أن من ورائها حقيقة كونية . وهذا ما أريد في إطار التفسير العلمي إظهاره . قبل ذلك يجب أولًا أن نلاحظ أن كلمتى المشرقيين والمغاربيين لم تُقرنَا مباشرة كما كان الشأن في الآيات المسالفة المذكرة حيث كان قوله - عز وجل : (رب المشرقيين ورب المغاربيين) بتكرار كلمة (رب) وهذا يدل على أن هناك مشرقيين ومغاربيين مختلفين تمامًا في الزمان وفي المكان كذلك . كيف هذا ؟

حقائق عملية :

المجرة : تقع مجموعتنا الشمسية في مجرة درب التبانة ، أو المطريق اللبناني *yaW liM kliy* التي على قرص هائل من النجوم والسحب من الغاز والغبار الكوني . وحول هذا القرص توجد المجموعة المكونة من تجمعات النجوم والمذنبات والنيازك والكواكب والثقوب السوداء والثقوب البيضاء وما لا حصر له من الذرات ، وشكل المجرة الخارجي حلزوني إذا نظر من أعلى ، وعديسي مسطح إذا نظر إليه من الجنب .

الشمس : ذكرت وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا NASA) نقلًا عن الموسوعة الأمريكية ، أن الشمس ومجموعاتها تقع في المثلث الخارجي لشعاع قرص المجرة ، وتجري الشمس حول مركز المجرة بسرعة 250 كيلومترًا في الثانية ، وتستغرق حوالي 250 مليون سنة لتتكامل دورة كاملة ، وقد أكملت 18 دورة خلال عمرها البالغ 4.8 مليون سنة . كما أن الشمس تدور بنفس دوران الأرض (دوران كارنجتون R. Carrington).

الأرض : كما جاء في نفس الموسوعة أن للأرض حركتان : واحدة حول نفسها - أو محورها المائل - من المشرق تستغرق 57 دقيقة بسرعة تقارب 465 متراً في الثانية في المنطقة الماساوية . يميل محور الأرض الموهمي على المحور العمودي بزاوية تغير من 23.41 درجة إلى 24.5 درجة في دورة تقدر مدتها بـ 26 ألف عام . أما الحركة الأخرى فتحول الشمس وتدوم 365 يوماً بسرعة متوسطة تقارب 30 كيلومتراً في الثانية . كما أن هذه الحركة تقع في مدار شبه دائري غير ثابت حيث يتغير ويمتد قليلاً ليصبح إهليجيا Euclidian ثم يعود إلى وضعه شبه الدائري في دورة مدتها 100 ألف عام . وبسبب هندسة مدار الأرض حول نفسها وحول الشمس تطرأ عدة تغييرات منها مكان الشروق والمغروب .

دوران الشمس حول مركز المجرة والأرض حول نفسها وحول الشمس

لقد أظهرت إذن الاكتشافات الفلكية أن حركة الأرض المحورية Spinaxis تكون من غرب الأرض إلى شرقها . وهذا يعني وجود شرق وغرب عند عملية بناء الكون وتوسيعه بعد عملية الفتق أو الانفجار العظيم كما يسميه العلماء \sqcap فيه وهذه هي الحالة التي ذراها حالياً . أما

المحالة الأخرى، فهي التي سيرها الإنسان قبل قيام المساعة - اقرأ قوله تعالى: (يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَرٌّ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوُنَّ مَا تَذَهَّلُ كُلُّ مُرْضِعٍ عَمَّا رَضِعَتْ وَتَضَعُّ كُلُّ ذَاقَ حِلْمًا وَتَرَى النَّاسُ سَكَارِيًّا وَمَدْمُوسًا كَارِيًّا وَلَكِنْ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) (الحج 2,1) - أي عند طي السماء وإنكماش المكون المنتظر Crunch Big حيث ستطلع الشمس من مغرب الأرض مصداقاً لقول المرسول عليه الصلاة والسلام: (لَا تَقُومُ الْمَسَاعَةَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِ الْأَرْضِ) حيث ستطلع الشمس من مغرب الأرض مصداقاً لقول المرسول عليه الصلاة والسلام: (لَا تَقُومُ الْمَسَاعَةَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهِ)، نحن المسلمين ندرك من خلال ما جاء في كثير من الآيات الكونية والمسنة الصحيحة حقيقة المكون في المستقبل، ونستطيع أن نزود العلم البشري بمثل هذه المعلومات المهمة الكونية لاستغلالها والتعرف عنها مصداقاً لقوله تعالى: (وَقَدِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيِّدِ الْعِزَّةِ فَتَعَزُّزُونَ) (النمل 93).

تصور طلوع الشمس من مغرب الأرض

بعد استقرار الشمس المقدر في المكان والم zaman، كما جاء في قوله - عز وجل: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقْرَلَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيِّ)، يس (35). يمكن تصوير طلوعها من مغرب الأرض - دون أن ندخل في التعريف عن الم كيفية - بتغيير اتجاهه دوران الأرض كأن يكون معاكساً لدوران كارنجتون C.R. arrington

وهكذا سيكون في المجموع - خلال عملية توسيع المكون وإنكماشه - اتجاه ان مختلثان لدوران الأرض: الأول هو الذي نعيشه وثراه حيث تدور الأرض من غربها إلى شرقها لتطلع الشمس من شرق الأرض، والثاني هو الذي يراه الإنسان قبل قيام المساعة حيث ستطلع الشمس من مغرب الأرض. إنهما عملياتان للشروع والغروب لا تتمان في وقت واحد، وهذه جاء قوله تعالى: (رَبُّ الْمَشْرِقِينَ وَرَبُّ الْمَغْرِبِينَ)، والذي يدل على أن الخالق واحد أحد هو الإله بربوبيته وسلطانه وتوجيهه خلال عملية التوسيع والانكماش، ليبقى التعبير واحداً، فحيثما وجد الشرق والمغرب هنا لك قدرة الله ودقة صنعه.

بعد المشرقيين:

إن هاتين الحالتين للشروع والمغرب مختلفتان تماماً ويفصل بينهما بعد ثابت في المكان والم زمان: فمقدار الم زمان لا يعلمه إلا الله - سبحانه - هو وحده عنده علم المساعة لا يجيء لأحد، أما المكان فيمكن أن نقدر بعده بنصف محيط الكرة الأرضية أي حوالي 20 ألف كيلومتر وهو بعد ثابت، مهتدين في ذلك بقوله تبارك وتعالى: (حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنِكَ بَعْدَ الْمَشْرِقِيْنَ فَبَيْنِ الْقُدُّورِينَ). المزخرف (37). نحن نعرف أن الإنسان كائن مرتبط بالأرض، ونفس المارتباط سيكون بقربه بدون شك. وبما أن المقربين ظل صاحبه يود هذا الأخير لو كان بينهما أثناء حياتهما الدنيا أقصى مسافة ثابتة موجودة على وجه الأرض، أي مسافة بعد المشرقيين التي تعادل المسافة بين المشرقي والمغرب الحالي والتي تقدر بنصف محيط الكرة الأرضية في منطقتها الاستوائية. ومن الملاحظ أن هذا المبعد ثابت في المكان والم زمان يعكس المبعد الذي يكون بين مشرقي فصل الشتاء وفصل الصيف الناتج عن التغيرات المتعددة الممتالية التي تسببها هندسة مدار الأرض حول نفسها وحول الشمس. كما نعرف كذلك أنه ما من آية في القرآن الكريم تحدثت عن أمر من أمور الدنيا أو الآخرة إلا وقد استوحت وصف هذا الأمر بأحسن عباره وأدقها. وبما أن الأمر الذي تعرضت له الآيات المسالفة المذكرة يدخل في نطاق البحث العلمي فلا نشك أن دقة العبارة القرآنية سوف تستوعب ما بلغه العلم البشري من حقائق كونية. وكيف لا والمذكرة تنزل هذا القرآن هو المخالق - عز وجل - الخبر العليم بالسر وما يخفى في هذا المكون. لقد فسرنا الآية المكرمية: (فَبَيْنَ الْأَدَاءِ رَبَّكُمْ تَكَبَّدُوا) وبالمعنى المشرقيين ورب المغاربيين (14)، بالمعنى المشرقيين ورب المغاربيين (15) بالقرآن الكريم مهتدين في ذلك بالآية المكرمية: (حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنِكَ بَعْدَ الْمَشْرِقِيْنَ فَبَيْنِ الْقُدُّورِينَ)، الرحمن المزخرف (37). وبالحديث النبوي الشريف: (لَا تَقُومُ الْمَسَاعَةَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهِ).

ومن خلال ما أتاح لنا التفسير العلمي - نرى أن هناك مشرقيين مختلفين في المكان والم زمان: الأول هو الذي ذراه الم آن الناتج عن عملية المفتق أو الانفجار العظيم وبناء المكون وتوسيعه حيث تدور الأرض إلى شرقها لتطلع الشمس من شرق الأرض، والآخر هو الذي سيرها الإنسان قبل قيام المساعة أي عند بداية انكماش المكون وعملية طي السماء حيث ستطلع الشمس من مغرب الأرض. والله العلم وإنما الموفق من وفقه الله.